يقول لا تغتروا بما في ايديكم من السعة والبسطة في الماكل والمشارب وساير الاموال بل سيروا
في الارض لتعرفوا كيف كان من كذب الرسل من الامم السالفة قبلكم قوله تعالى ثم انظروا عطف على
سيروا والعطف في مثل هذا الموضع لم يجئ في القران الا بالفاء وههنا جاء بثم فاحتيج الى بيان الفرق
بينهما قال صاحب الكشاف فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر
مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله
قل سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر
في اثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح الى هنا كلامه يعني ان المراد اذا عطف على
السير بالفاء يكون كل واحد منهما مطلوبا الا ان الاول يكون مطلوبا لاجل الثاني واذا عطف بثم لا يكون في الكلام
ما يدل على السببية وانما يدل على كون الثاني متراخيا عن الاول بحمله على التراخي الرتبي لان النظر في اثار الكفار
والاعتبار في حالهم واجب على النبي ومن حقه ان يتراخى عن السير فلذلك حمل على التراخي الرتبي واحكام الامر
للايجاب غاية ما في الباب ان يكون الثاني واجبا لذاته ويكون الاول واجبا لتوقفه عليه فاني يكون
توضيحا ثم صالح لكون كلمة ثم للدلالة على تفاوت الواجبين من حيث ان النظر والاعتبار مقصود لذاته
والسير مقصود لكونه وسيلة الى النظر قوله سؤال تبكيت اي سؤال توجب اسكاتهم والغلبة عليهم
بالحجة والبرهان فان كفار مكة لما اشركوا به تعالى ما لا يقدر على شيء اصلا اقام لهم ما يدل على وحدانيته
وهو ان خلق السموات والارض ومن فيهما من اثار قدرته فكيف يتصور ان يكون له شريك في الالوهية ثم الجاهم
الى ان يقروا ويعترفوا بذلك بان امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يسال ويقول لهم لمن ما في السموات
والارض ثم انفسهما ثم امره عليه السلام بان يجيب بنفسه عن ذلك السؤال ولا ينتظر الى ان
يجيبوا عنه مع ان مقتضى السؤال الانتظار اليه ايماء الى ان هذا السؤال لكونه جوابه متعينا
ليس من حقه ان يطلب جوابه من المسؤول فقول المص قوله تعالى قل لله تقرير لهم معناه الجاهم الى
ان يقروا بان الكل لله كانه قيل هل لكم سبيل الى عدم الاقرار بذلك مع كونه من الظهور بحيث لا يقدر
احد الى انكاره والاعتراف بذلك يستلزم الاعتراف بوحدانية الصانع الحكيم القادر على كل شيء بحكم
برهان التمانع والاعتراف بها يستلزم الاعتراف بصحة الاعادة لان من قدر على الابتداء فهو اقدر على
الاعادة فان من قدر على ابداع السموات العلى والارضين السفلى وما بينهما من الجواهر والاعراض التي



التي لا تحصى ليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى ثم انه تعالى لما حقق وحدانيته في الالوهية برهانا
والزاما ذكر انه اوجب والزم على نفسه الرحمة تلطفا في استدعائهم الى الانابة منهم فقال كتب على
نفسه الرحمة اي التزمها واوجبها على نفسه تفضلا واحسانا لانه تعالى منزه عن ان يجب عليه
شيء حقيقة روي عنه عليه السلام انه قال لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش
ان رحمتي غلبت غضبي رواه مسلم قوله والامهال على الكفر حيث لم يعاجلهم على وجه الاستيصال
ولم يعاجلهم بعقوبة الكفر في الدنيا وهو الكامل من رحمته قوله استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم
يعني انه يتم الكلام عند قوله كتب على نفسه الرحمة ويوقف عليه ثم يستانف بقوله ليجمعنكم على انه جواب
قسم محذوف واللام التي فيه لام جواب القسم والتقدير والله ليجمعنكم الى اليوم الذي انكرتموه والجملة
القسمية لا تعلق لها بما قبلها من حيث الاعراب وان تعلقت به من حيث المعنى وكلمة الى على اصل معناها
اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين منتهيا وكم ومبلغكم الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وقيل هي بمعنى في
اي ليجمعنكم في يوم القيمة قوله بدل من الرحمة عطف على قوله استينافا فيكون الجملة القسمية في محل النصب
تبعا لمتبوعها وان كانت جملة الجواب لا محل لها من الاعراب والظاهر ان قوله تعالى كتب ربكم على
نفسه الرحمة الى قوله وله ما سكن في الليل والنهار من تتمة ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله
لكفار مكة امره الله تعالى اياه بان سالهم لمن ما في السموات والارض ثم امره بان يجيب ذلك السؤال
بقوله لله الجاءهم الى الاقرار بان جميع ذلك لله يلزمهم الاقرار بوحدانية الله تعالى وبانه يجمع ذلك
الجواب بيان عموم رحمة الله تعالى في الدارين اما في حق من تاب وآمن بالرسل فبان يدخله في دار كرامته بلا عذاب
والتكريم واما في حق من عاند واصر على الكفر والتكذيب فبان لا يهلكه بعذاب الاستيصال ولا يعاجله بالعقوبة
في الدنيا وبان يخاطب كفار مكة بقوله ليجمعنكم الى يوم لا ريب فيه اعني الذين خسروا انفسهم وهم الذين
خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون والمعنى ان رحمته عمت في حق من خسر نفسه انما هي امهاله الى يوم الجزاء لا اهماله
سدى بل يحشره ويحاسبه على كل من فعله من الكفر والتكذيب فهذه الجمل كلها داخلة في حيز قل في قوله تعالى قل لله
ويدل على ما ذكرنا كون قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار معطوفا على قوله لله ولا ينافي ما ذكرناه جعل
قوله تعالى ليجمعنكم مستانفا لا محل له من الاعراب لان المراد بكونه مستانفا عدم دخوله في حيز كتب ولا ينافي ذلك
دخوله في حيز قل وكان المصنف لما اختار كون الجملة القسمية مستانفة ولم يرض كونها بدلا من الرحمة لان

Copyright © King Saud University